للعائلة، وللطائفة الدينية أي تعهد للوحدة الوطنية... [و] بغية حماية انفسهم، ومن أجل السيادة [على] الساحة الوطنية المضطربة، أسست الجماعات الدينية والسياسية ميليشيا مستقلة، وأبدت الأحزاب استعدادها، تكراراً، لدعوة القوى الاجنبية الى التوسط لمصلحتها... [و] كان معظم الزعماء الاجانب عمليين وغير متحيزين في خطواتهم السياسية؛ وقد سعوا مخلصين للتوفيق بين الظروف المتغيرة في لبنان، وكانوا، دائماً، ينظرون لنوع من الكسب اثر مشاركتهم هذه، وغالباً على حساب اللبنانيين» (ص ١٠٠ ـ ١٠١).

بالنسبة الى علاقة سوريا بلبنان، اعتقد الكاتب بـ «ان معظم اللبنانيين، في الوقت الذي يفضلون الاستقلالية، رغبوا تاريخياً في علاقات وطيدة مع سوريا، الى جانب مطلب الكثير من المسلمين وبعض المسيحيين ان يكون البلدان متحدين» (ص ١٠١).

وبعد تزايد تأثير الوجود الفلسطيني في لبنان، وتعقيدات ظروف الحرب الاهلية التي اندلعت في العام ١٩٧٥، ودخول الجيش السوري لبنان، توصّلت اسرائيل، بدورها، الى ايجاد «حلفاء لها ضمن القوات المسيحية المارونية في الجنوب، وكانت قد زودت القوات المسيحية في لبنان بالعتاد وبالتدريب. كانت الكراهية للفلسطينيين هي ما قرّب بينهما بادىء الأمر. لاحقاً، أضيف الى هذا الأمر رغبة كل منهما [في] ان يرى السوريين يطردون خارج البلاد، وان يرى الموارنة يلعبون دوراً سياسياً يتسم بسيطرة أشد من السابق. الى ذلك، كان الاسرائيليون يريدون تحالفاً سياسياً أوثق مع حكومة لبنانية موالية لهم» (ص ١٠٤). وعلى ذلك، رأى ان من أهداف الغزو للبنان، العام ١٩٨٢، «ازالة التهديد للحدود الشمالية لاسرائيل؛ واجبار السوريين على الخروج من لبنان؛ واقامة حكم لبناني موال لاسرائيل بما يكفي لتوقيع اتفاق سلام دائم؛ وتدمير قوات الفلسطينيين العسكرية؛ وأسر ياسر عرفات، زعيم م.ت.ف. وابعاد أي أثر لـ م.ت.ف. خارج لبنان، وصرف الانتباه، ربما، عن الضفة الغربية وقطاع غزة والمشكلة الفلسطينية عموماً» (ص ١٠٦).

وبعد عرض لتطورات الحرب على أرض لبنان بين الأطراف المتصارعة في منطقة الشرق الأوسط، استنتج كارتر «ان جبروت اسرائيل العسكري لا يزال شيئاً غير موضع نقاش. لكن الاستخدام الفعال لهذه القوة الجبارة في صياغة الأحداث في الشرق الأوسط تبيّن انه لا يعتمد عليه» (ص ١١١)؛ و «معنى ذلك ان الغزوات السابقة لم تؤد الاّ الى الشيء القليل، أو لم تؤد الى شيء على الاطلاق. والجواب [عن]... هذا المأزق يكمن في المشكلة الفلسطينية من خلال تحقيق تقدم في الضفة الغربية، ممّا يؤدي الى تسكين المقاومة الفلسطينية لاسرائيل» (ص ١١٠ ـ ١١١).

وماذا يريد اللبنانيون؟ أجاب الكاتب: «يريد اللبنانيون سيادة لا جدال فيها على جميع تراب أرضهم، والأمان والاستقرار والعدل المبني على الاجماع الداخلي، وكذلك الازدهار... ويرون ان من الواجب توحيد بلدهم قبل ان تحترم سيادته، وانه كلما كانت سوريا واسرائيل آمنتين كلما كان لبنان بدوره آمناً. بالطبع، يريد اللبنانيون انسحاب كلتا الدولتين عن أرضهم، لكن ثمة فرق: فالاحتلال الاسرائيلي ينظر اليه كجزء من النزاع الشامل بين العرب واليهود، بينما يعتبر الوجود السوري مسألة عربية صرف، يجب حلها بعد ان تجبر القوات الاخرى على الخروج من البلد...» (ص ١١١). وكتب كارتر ان العالم تعلم بعض الدروس «ممّا جرى في لبنان. والأحداث المستقبلية قد تصاغ في ضوء ما حدث في هذا البلد. فضعف العالم العربي وتشرذمه قد ثبت بوضوح عندما دخلت اسرائيل الى بيروت دون مقاومة نسبياً. وفقاً لذلك، فان الحاجة الى عودة مصر للحظيرة العربية واقعة اعترف بها الزعماء العرب الذين كانوا أكثر تضرراً في أعقاب خطوة السادات باتجاه السلام مع اسرائيل» (الصفحة ذاتها).

وفي ضوء فشل الغزو الاسرائيلي للبنان في تحقيق أهدافه، وفي ضوء خروج القوة العسكرية لـ م.ت.ف. من لبنان، استنتج الكاتب ان لبنان «لم يعد على مركز الحلبة، وهذا لا يريح الكثيرين. والاهتمام العالمي يركز الآن، على بقعة أخرى، هي بدورها في الشرق الأوسط على الأرجح. هذا وان معظم الممثلين سيحتفظون بأدوارهم في نفس المأساة، لكن ما يجب معرفته هو ما اذا كان هذا الفصل التالي سيؤدي الى الاستقرار، او الى مزيد من